المقتطف

الجزء السادس من المجلد التاسع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٢

هذه الحرب ورجالها

قضى الماليون في اوروبا واميركا لياتهم من اليابان فدانوها المال برداً فاحش وارتهنوا جمارك بلادها فخالفت وصية سيئتير ونسيت ما تعلمتهُ من مصر وتجني من ذلك العلقم ولو كان رجالها احكم من النمل واشد بأساً من الحديد . ولقد قصَّ علينا الخيال الرواية التالية قال :

دخلت غرفة فاخرة الاثاث والرياش في قصر من قصور لندن أم المدائن فرأيت فيها ثلاثة رجال جلوساً حول مائدة وامام احدهم آلة التلغراف يخاطب بها الماليين في اميركا وامام آخر آلة التلفون يخاطب الماليين في باريس وفيما وبرلين ودار بين الثلاثة الحديث التالي

الاول — ان دخل الجمارك في اليابان مليون وستمئة الف جنيه حسب تقدير الميزانية هذه السنة وهو ليس مرهوناً فيصلح ان يكون رهناً لعشرة ملايين جنيه بل لعشرين مليوناً ولذلك لا ارى بأساً في اقراضها المبلغ المطلوب

الثاني — وهل قبلت ان تدفع ستة في المئة

الاول — المرجح انها تقبل اذا اصررنا على ذلك وقد بذل سفيرها جهدهُ ليجعل الربا خمسة فقط فابنت لهُ ان ذلك ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة

الثاني — وبكم يصدر القرض

الاول — اراد السفير ان نصدره بسبعة وتسعين ونزل الى خمسة وتسعين فابيت وعرضت اصدارهُ بتسعين واخيراً اتفقنا على اصداره بثلاثة وتسعين اذا وافقتموني على ذلك فيصير الربا نحو ستة ونصف في المئة

فضحك الثاني وقال بارك الله في الحروب لولاها ما كان يمكن ان تصح النبوءة القائلة اننا نرجع بثروة الامم

الثالث — ولكن كتب اليَّ عميلي من بطرس برج ان الروس لا يمكن ان يرجعوا بالفشل ولا بدَّ لهم من قهر اليابان واذلالها معها انتضت هذه الحرب من الرجال والمال

الاول — قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن هَبْ ان روسيا امتلكت اليابان وهو امر بعيد الوقوع جدًّا فان حقوقنا على الجارك تبقى محفوظة لا تمس

الثالث — الى كم تحتاج اليابان بعد ذلك يا ترى

الاول — اليابانيون على غاية الاقتصاد في ما ينفقونهُ من بلادهم . ولا يضطرون ان ينفقوا كثيرًا الاَّ على ما يبتاعونهُ من اوربا واميركا كالبوارج والمدافع ولكن لا يبعد ان يحتاجوا الى عشرين مليونًا اخرى قبل انتهاء الحرب وهب انهم احتاجوا اليها فعندهم مكوس الاشربة الروحية تبلغ في السنة ستة ملايين وستمئة الف جنيه وقد تقلُّ كثيرًا بعد الحرب ولكن يبقى منها ما يزيد على ربا الدين ولو بلغ اربعين مليونًا من الجنيهات وليس عليهم الآن دين اجنبي سوى عشرة ملايين من الجنيهات وربا‌ها اربعة في المئة فقط

الثالث — وقعت في ما كانت تحذر الوقوع فيهِ ولا ادري لمن الفضل الاكبر في ذلك

الاول — الارتهان يجرُّ الى المراقبة والمراقبة لا تضرُّ احيانًا وقد تنفعها كما نفعت غيرها . هذه مصر نجحت تحت المراقبة نجاحًا لم يحلم بهِ اهلها ولا حلمنا بهِ نحن

الثاني — ولكن شتان بين مصر واليابان ومع ذلك فنحن لا يسعنا من امر الامم الاَّ ان تكون اموالنا مضمونة وان يُدفَع ربا‌ها في مواعيدهِ فان صحَّ ما قلتَ عن دخل جمارکها فلا ارى مانعًا من اقراضها عشرة ملايين من الجنيهات بستة في المئة

واتفق الثلاثة على رأي واحد وخاطب صاحب التلغراف شركاءهم في نيويورك وصاحب التلفون شركاءهم في باريس وڤينا وبرلين . وفي اقل من ساعة جاء منهم الجواب بالايجاب وأُمضي الامر وكتب الكاتب قرارهم وسار بهِ الى سفير اليابان

على هذه الصورة او ما يماثلها اقرض الماليون ممالك الارض خمسة آلاف وخمس مئة مليون من الجنيهات وجلسوا في بيوتهم يتقاضون ربا‌ها مئتين وعشرين مليونًا كل سنة يبنون بها القصور الباذخة واليخوت الفاخرة ويتنعمون باطايب الحياة والف مليون من بني آدم يكدحون نهارًا وليلاً لكي يوفوا ربا هذا الدين هذه هي السياسة المالية التي خضعت لها الممالك في هذا العصر. يقيم المرابي في هذه العاصمة ويرسل عملاءهُ الى بلد من بلدان الفلاحين يحسِّن لاهلها الدين منهُ ويغريهم بهِ بكل واسطة ثم يرتهن املاكهم ضمانًا لربا دينهِ فيشاطرهم جنى يدهم وارضهم ويعيش متنعمًا كذلك يفعل ارباب الاموال بالممالك . وسيفعلون بالروس كما فعلوا باليابان

فيدينونهم كل ما يستطيعون ان يوفوا رباهُ فان الروسي يدفع الان من ربا دين حكومتهِ ٢٢ غرشاً في السنة والايطالي يدفع نحو ٧٠ غرشاً والمصري نحو اربعين غرشاً والسرقي نحو ثلاثين غرشاً فيحتمل ان يزيد دين روسيا مئتي مليون جنيه او ثلثمئة مليون ولا يكون اثقل من دين حكومة مصر على اهاليها فان لم تستدن منهم المال لما يُزيّن لها من انشاء سكك الحديد استدانتهُ لهذه الحرب وامثالها

وقد يسم الدهر في الشهر الماضي للروس كما بسم في الذي قبلهُ لليابان لكي تكون الحرب سجالاً كأنهُ طوع امر المالين فبسم لليابان حتى يسر لهم اصدار القرض الياباني . وهو يبسم الآن للروس حتى يتيسر لهم اصدار القرض الرومي . اصدروا القرض الياباني المئة الجنيه بثلاثة وتسعين جنيهاً اي اخذوا منها سنداً بمئة جنيه عن كل ثلاثة وتسعين جنيهاً دفعوها اليها ثم باعوهُ للجمهور بستة وتسعين جنيهاً او نحوها فربحوا ثلاثة جنيهات . وبعد مدة يوقفون المشاكل ويختلقون العراقيل فتهبط قيمة هذه السندات وتبلغ ثمانين او سبعين او اقل فيبتاعونها ثانية ويحفظونها في خزائنهم ويأخذون رباها المقررة في المئة فيكون ثمانية او تسعة في المئة بالنسبة الى الثمن الذي دفعوهُ . وهذا شأنهم في كل معاملاتهم المالية يوجدون السبب الموجب لاستدانة المال اذا لم يوجد من نفسهِ ويبيعون سنداتهِ باغلى ثمن ثم يوجدون سبباً لرخصها فيبتاعونها ثانية ويبذلون جهدهم في منع المستدين من ايفائها

***

اطلعنا على مقالة مسهبة لكاتب ضلعهُ مع الروس وهو المستر هنري نورمن احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي اورد فيها اموراً لا تبعد ان تكون حقائق مقررة فاقتطفنا منها ما يلي كما اقتطفنا قبلاً اموراً اخرى من كتاب ضلعهم مع اليابان

قال انهُ لما حلَّ ما حل بالاميرال ماكاروف اضطربت روسيا كلها واخذتها الرعدة كما اضطربت انكلترا في بداءة حربها مع البوير ولكنها نهضت حالاً كما نهضت انكلترا وعزمت على متابعة الحرب الى نهايتها مهما بذلت من الرجال والمال

وهذا امر لا بدَّ منهُ ولا غنى عنهُ وهو لا يخفى على اهالي انكلترا واميركا . ولقد اخطأت اليابان لانها لم تقدرهُ من اول الامر . اما روسيا فخطأها الاكبر انها انفقت اموالها على اصلاح منشوريا بدلاً من ان تنفقها على تعزيز ثغورها وانشاء الحصون المنيعة فيها فلو انفقت الاموال التي انفقتها على بناء دلني وخربين في انشاء الحصون والبوارج لما تجاسرت اليابان على منازلتها . فقد اخطأت روسيا كما اخطأت اليابان ولكنهما اخطأتا في جهتين مختلفين الاولى لم تأهب

لهذه الحرب والثانية لم تحسب ان خصيمتها لا يمكن ان ترجع عنها مقهورة وتبقى في مصاف الدول

ولا بد لروسيا من ان تبذل كل مرتخص وغال لكي لا تخرج من هذه الحرب بالفشل ولو اضطرت ان تسفك كل نقطة من دمها وتنفق كل درهم في خزائنها وخزائن شعبها وتضرم نيران الفتنة في اوربا كلها ولذلك فغرق ماكاروف وسقوط بورت ارثر واندحار الجنود الروسية على نهر يالو وفي نيوشوانج لا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى روسيا لانها تجمع جنودها سيفي مكدن ثم في خربين ثم في يكال وتحارب اليابان سنة وسنتين وثلاث سنوات وخمس سنوات اذا دعت الحال الى ذلك وتضرم نار الحرب في بلاد فارس وافغانستان والبلقان وتخرج من هذه المعارك اما ظافرة واما خائرة القوى غير مثلومة العرض ولكن رضاها بالهزيمة من وجه اليابان موت ادبي لها

وقد يقال ان اليابانيين لم يدخلوا غمار هذه الحرب على غرَّة لان رجالهم من احكم رجال السياسة بل قد قدَّروا من اول الامر انهم سيقهرون الروس في بورت ارثر ومنشوريا فيستخلصون منشوريا من يدهم ويردونها الى الصين ويكتفون بابقاء سيطرتهم على كوريا وينتحون ابواب التجارة فيها وفي منشوريا للدول الاوربية اجمع وللولايات المتحدة معها فتجتمع الدول كما اجتمعت في مؤتمر برلين وتقوم كلها في وجه روسيا وتضمن سلامة الصين كما ضمنت سلامة تركيا فتضطر روسيا الى الرضوخ لحكمها وتعود اليابان فتستعمر كوريا وتصير في مصاف الدول الاوربية

لكن اذا كانت اليابان قدَّرت هذا التقدير قبل الحرب فيكون خطأها فيه اشد من خطإها الاول لان روسيا جاهرت في اول هذه الحرب انها لا تقبل وساطة الدول ولا تعرضهن لها كما تعرَّضن لها في حربها مع تركيا. ثم ان اتفاق الدول على مثل ذلك ضرب من المحال لان الدول التي تستطيع التعرض هي انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة اما فرنسا فيستحيل ان تتعرض لروسيا بسوء وهي حليفة لها واما المانيا فيبعد عن الظن جدًّا ان تفعل ذلك بل هي باذلة جهدها في التقرُّب من روسيا وابداء المودة لها ولا يبعد ان تنصرها في اول فرصة تعرض لها لان روسيا قادرة ان توفيها وتكيل لها الصاع صاعين عن كل معروف تفعلهُ معها

وبقي انكلترا والولايات المتحدة فاذا اظهرتا العداء لروسيا فان روسيا تشهر الحرب حالاً على انكلترا في جهات الهند واسطول انكلترا واسطول اميركا لا يجديان نفعاً لانهُ لا يبقى لروسيا اسطول في بحار المشرق حتى يتازلاهُ واسطولها في اوربا يتحصن في كرنستت فلا يمكن الوصول اليهِ وترحف روسيا بنصف مليون من جنودها على بلاد فارس وافغانستان ولا يطول المطال على الاميركيين حتى يتَّضح لهم ان فوز اليابان مضرٌّ بهم لانها اكبر مناظر لهم سيفي

الصناعة والتجارة فيتخلّوا عنها

هذا اذا فازت اليابان فوزاً تاماً وانتصرت نصراً مبيناً ولكن هب انها لم تفز كما تنتظر وافرغت ما في وطابها من الجنود والنقود فان روسيا تعود فتزحف على منشوريا وكوريا وعلى جزائر اليابان نفسها ويكون اسطولها في البلطيك قد تم وتجهّز فيمضي الى بحار المشرق وهو اقوى من اسطول اليابان من بعض الوجوه . واذا حدث ذلك تشرع الجرائد تطلب توسّط الدول ولكن اي دولة تجيب هذا الطلب فان فرنسا لا تجيبهُ والمانيا احبُّ ما عليها ان ترى دولة اخرى يحملها الغرور على التعرض لما لا يعنيها . والولايات المتحدة تطلب التوسط كتابة ولكنها لا تقدم عليهِ فعلاً وتبقى انكلترا فاما ان تخوض غمار الحرب مع الروس في كل اسيا او تحجم عن اليابان في موقف الشدة

وافاض الكاتب في هذا الموضوع وخطّأ حكومة بلادهِ في اتفاقها مع اليابان ثم قال ان الرأي العام في انكلترا متجه الآن الى مجاملة روسيا

واتبع ذلك بمقالة اخرى وصف فيها ما شاهدهُ في خزائن روسيا من الاموال الوفيرة فانهُ زار خزائن بنك روسيا ورآها ملأى بسبائك الذهب وفي ارضها اكياس مملوءة بالنقود الذهبية في كل كيس منها ستة آلاف قطعة من الذهب قيمة القطعة منها خمسة روبلات . ويظهر من حساب البنك في اواخر شهر مارس الماضي انهُ كان فيهِ حينئذٍ ما يساوي ٦٢ مليوناً و٧٦٦ الف جنيه وذلك من المال الاحتياطي وفيهِ وفي فروعهِ عدا ذلك ما يساوي ٣٤ مليون جنيه نقوداً وللحكومة في بنوك اوربا نحو ١٤ مليون جنيه فجملة الذهب ١١٠ ملايين جنيه تستطيع الحكومة الروسية ان تنفق منها ٥١ مليون جنيه من غير حرج اي من غير ان تأخذ ديناراً من الذهب الاحتياطي الذي يحفظ في البنك ضماناً لنقود الورق

وصوّر بعض خزائن البنك صوراً فوتوغرافية فنقلنا صورةً منها كما ترى في الصفحة التالية

وكتب كاتب انكليزي آخر في مجلّة جديدة انهُ لا بدَّ لانكلترا من ان تشتبك في هذه الحرب لانهُ ان كان الفوز لروسيا صار لها النفوذ الاول واليد العليا في اسيا كلها وهذا لا ترضى بهِ انكلترا . وان كان الفوز لليابان فلا بدَّ لفرنسا او لالمانيا او لكليهما من الدخول في الحرب وجر انكلترا اليها . والخوف الاكبر من المانيا لانهُ لا بدَّ لها من ان تبذل جهدها لتشبك الانكليز في هذه الحرب

وسئل ثلاثة من نخبة القواد الاميركيين عمّا يكون من امر هذه الحرب فقال احدهم وهو الجنرال سيكلس المرجح عندي ان هذه الحرب لا تطول لان روسيا ستجد من المصاعب ما

لانقوى عليه فتجنح الى الصلح اذا عُرض عليها واليابان لا تكون اقل رغبة منها فيه اذا تيسّر لها اخراج روسيا من منشوريا كما اخرجتها من كوريا

وقال الجنرال مبلس يظهر لي ان هذه الحرب ستطول جدًّا وتكثر نفقاتها وتشتبك فيها بعض الدول الاوربية

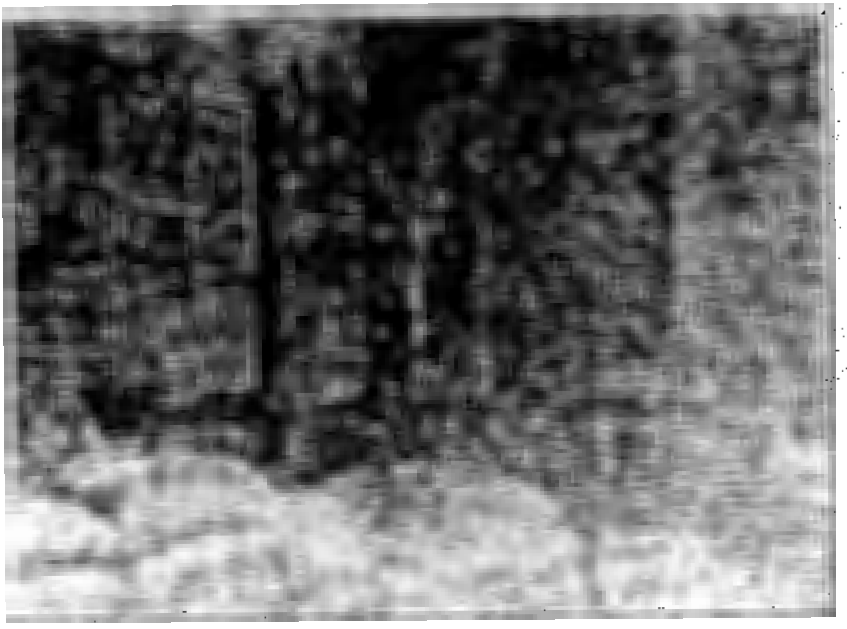

وقال الجنرال هوبلر يظهر الآن ان اختيار دار الحرب وقع لروسيا لا لليابان وعندي ان هذه الحرب لا تطول الاّ الى وسط الخريف المقبل حينما تزيد جنود الروس على جنود اليابان زيادة بالغة فتدحرها دحرًا

وقال الكاتب السياسي المشهور السر تشارلس دلك انهُ يحتمل ان المانيا تطلب من فرنسا ان تنضم اليها لتساعدا روسيا على اليابان كما ساعدتاها عليها بعد حرب الصين فتحجم فرنسا عن ذلك مخافة من انكلترا فتقوم المانيا وتنضم الى روسيا توًّا فتضطر انكلترا ان تنضم الى اليابان بحكم محالفتها معها وتضطر فرنسا حينئذٍ ان تنضم الى روسيا فتخرج اليابان من منشوريا لانها تجد لها لقمة ادسم في التنكين وتنشب الحرب في اوربا بين الاسطول الانكليزي من جهة

والاسطول الفرنسوي والالماني من جهة اخرى

والظاهر ان هذا رأي كثيرين من نخبة الكتّاب لكن رجال السياسة غير غافلين عن هذه الحوادث ورجال المال الذين في يدهم مقاليد الامور يصرفونها كيف شاءوا فلا يحتمل ان تضام دولة ضيماً يعود عليهم بالخسران

الاميرال توجو

الجنرال كوروبتكن

الاميرال الكسيف

الاميرال سكريدلوف

هذا من حيث الحرب اما رجالها المشهورون الآن فاشهرهم اربعة الاميرال توجو امير الاسطول الياباني امام بورت آرثر والجنرال كروبتكن قائد الجيوش الروسية العام والاميرال الكسيف حاكم منشوريا والاميرال سكريدلوف الذي خلف الاميرال ماكاروف في امارة اسطول الروس في بحار المشرق وقد نشرنا صورهم هنا